الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

١,١ المقدمة

تصدرت الرواية بوصفها فنا أدبيا سرديا المشهد الأدبي العالمي، وحققت إنجازات كبيرة مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى. وقد كان لارتباطها في نشأتها الأولى بعصر التنوير، وبالتحول التاريخي في الوعي البشري دور في النظر إليها على أنها الشكل التعبيري المناسب للواقع. ومع وصول هذا الجنس الأدبي إلى البلاد العربية بفعل التأثر الثقافي بحضارة الغرب وآدابه، كتب الروائيون العرب روايات حمّلوها تجارب إنسانية عايشوها من داخل واقعهم وهموم مجتمعاتهم، فرصدوا التحولات المتسارعة في الواقع العربي، خاصة في الارتباط الأول للرواية العربية بظهور الاتجاه القومي، وبحالة النهوض الفكري، فكانت بذلك الشكل الأدبي الذي عبر أكثر من غيره عن الموضوعات القومية وقضايا الهوية، وعن التحديات التي واجهت الشعوب، وتصادمت معها تطلعات الإنسان العربي في واقع عرف حركات اجتماعية وسياسية عملت على تعزيز الوعي القومي لمواجهة المستعمر والسيطرة الأوروبية.

وفي هذا السياق، ظهرت الرواية الخليجية متأثرة بالرواية العربية في المشرق، ونشأت مصاحبة لرحلة الانتقال من البداوة إلى التمدن في مرحلة ما بعد النفط، فصورت بذلك الصراع الذي عرفته منطقة الخليج بين الحياة التقليدية والحياة المعاصرة، والتحول العميق من ثقافة الصحراء إلى المدنية، وما نتج عنه من مشكلات اجتماعية مست مجالات متعددة في البنية الاجتماعية، ذلك أن الرواية تحتاج مجتمعا مدينيا

يعيش أنماطا سلوكية وحياتية بعيدة عن البداوة والترحال، ويواجه مشكلات جديدة أوجدتها التغيرات الاجتماعية والمشاكل الناتجة عن تعقيدات المدينة.

وفي هذا السياق أيضا، كتب راشد عبد الله النعيمي أول رواية إماراتية سنة ١٩٧١، طرح فيها موضوع الرق ومعاني الحرية والحب، وذلك من خلال شخصية "شاهندة" التي تتعرض هي وأسرتها للبيع في سوق النخاسة، وتسعى للانتقام بعد الاستغلال الذي مورس عليها والتحولات الكبيرة التي عاشتها، ووصلت في نهايتها إلى أن أصبحت زوجة الملك وصاحبة للقصر. وتمثل الرواية باعتبار ريادتها عملا فنيا ووثيقة أدبية لدراسة تطور الرواية في الإمارات وتحليل تأثير الواقع المتغير في لغتها وتقنياتها السردية.

وتحت تأثير هذا النسق الاجتماعي، عمد الروائي الخليجي إلى مناقشة الظواهر الاجتماعية التي تثير في وجدانه وفكره مختلف القضايا والأحداث التي عايشها وتفاعل معها، وظهرت الكثير من الأعمال الروائية التي تحتاج إلى دراسة عميقة تضع الناقد أمام تاريخ المنطقة والتحولات الاجتماعية التي عرفتها مجتمعاتها.

وقد شكلت أعمال الروائيين الإماراتيين منجزا غنيا كشف جزءا من هذه التحولات التي عاشها الخليج عامة ودولة الإمارات على وجه الخصوص، وأظهرت تعامل الروائي مع واقعه فنيا من خلال الكتابة الروائية ليعبر عن موقفه من التحول المجتمعي ومما أنتجه من تغيرات على مستوى القيم والهوية والانتماء، وعن تطلعات فئات المجتمع الإماراتي في زمن العولمة والتطور التكنولوجي.

إن المتتبع لهذا المنجز، من بداياته الأولى مع رواية "شاهندة"، يجده فضاء يتفاعل فيه الاجتماعي والثقافي والسياسي بصورة تجعله وسيلة لقراءة الواقع الإماراتي. كما استطاعت الكتابات الروائية الإماراتية – رغم حديث عهدها بالمشهد الإبداعي العربي– أن تسجل تطورا كبيرا نتيجة للمعطيات السوسيو ثقافية التي ساهمت في تغيير مسار الأدب الروائي في الإمارات وتطوير جوانبه الفنية في موازاة مع الجوانب الفكرية المختلفة.

شكلت الرواية الإماراتية، إذن، ظاهرة جديرة بالدراسة والبحث للوقوف على أنواع التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الإماراتي، والكشف عن واقعيتها وتأثيرها في تطور الرواية الإماراتية، وعن دور الروائي الإماراتي في توجيه هذه التحولات وفق ما تمليه منظومة القيم السائدة، وما يرتبط منها بالعادات والتقاليد، والهوية والانتماء. كما مثلت وثيقة اجتماعية يمكن الاستفادة منها لمعرفة تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع الإماراتي بما تمثله من عادات وتقاليد وقيم وأنماط تفكير وطرق العيش، وغير ذلك من القضايا التي تطلع القارئ على تاريخ المجتمع وتطوراته والتحولات التي عرفتها الدولة من بداية اكتشاف النفط.

١,٢ مشكلة الدراسة

يشكل تطور الرواية العربية عموما والإماراتية بشكل خاص السياق العام للدراسة، وفي إطاره تطرح إشكالية العلاقة بين الرواية الإماراتية والواقع، وانعكاس التحولات الكبرى التي عرفها المجتمع الإماراتي في منجزه الفني الروائي. ويعد طرح هذه الإشكالية امتدادا للسؤال الذي شكل قضية من القضايا التي طرحتها النظريات الأدبية والمناهج النقدية المختلفة سواء منها ما يربط بين العمل الأدبي وسياقه الاجتماعي أو ما يفصله عن ذلك ويأبى تقيده بغير الشروط الإبداعية. وتكتسي هذه الإشكالية صفتها العلمية بالنظر إلى تزامن ظهور الرواية في الإمارات مع التحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفها المجتمع الإماراتي والطفرة النوعية التي ميزت مسيرة تطوره.

وتمثل الفجوة التي تعرفها الساحة النقدية فيما يخص دراسة التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية جزءا من الإشكالية، خاصة فيما يتعلق بنوع المنهج المعتمد في الدراسة، إذ إن كل الدراسات السابقة التي تناولت الرواية الإماراتية لم يكن موضوعها الرئيس تتبع التحولات الاجتماعية في الأعمال الأدبية الروائية، بل كان بعضها يركز على تتبع تاريخ تطورها. وتناول بعضها الآخر صورة المرأة في الرواية الإماراتية، بينما

جعلت دراسات أخرى من صورة الرجل وصورة الآخر موضوعين لها. أما آخر دراسة، وهي المعنونة ب "التنوع الثقافي وتجلياته في السرد الإماراتي: الرواية نموذجا" للباحثة "فاطمة المعمري"، فقد تتبعت مجالات ومظاهر التنوع الثقافي في المنجز الروائي الإماراتي، هذا النوع من التنوع الذي يمثل جزءا فقط من التحولات المجتمعية، كما أن الدراسات السابقة لم تعتمد النظريات الأدبية والنقدية في البحث والتحليل.

وفي هذا السياق، تقدم هذه الدراسة إضافة علمية في مجال البحث في الرواية الإماراتية بتقديمها تصورا عن دور هذا الفن السردي في مقاربة التحولات الاجتماعية من زاوية رؤية الروائيين لها، أضف إلى ذلك ما يمكن أن تسهم به الدراسة في سد ما يمثل فجوة في الدراسة النقدية للرواية الإماراتية التي لم تنل ما تستحقة من الاهتمام بالنظر إلى ما راكمته من أعمال مختلفة أثرت الساحة الفنية العربية. وفي هذا السياق، تقدم هذه الدراسة فهما أكثر عمقا لبنية المجتمع الإماراتي ومسلسل التحول الذي يعيشه، ذلك أن رؤية الكاتب تقدم توقعا للمستقبل ولخصائصه المحتملة، واستشرافا للتوجهات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال مساحات التخييل الواسعة، كما تعمل على تغيير نظرة القراء للعالم وتثير حوارات ونقاشات تسهم في فهم الإمكانات المتاحة للاستعداد لمواجهة تحديات المستقبل، ووضع السياسات اللازمة لضمان الاستقرار المجتمعي في عصر التطور التقني والثقافة الرقمية المعاصرة.

كما تُطرح مشكلة تصنيف التحولات الاجتماعية في الروايات محل الدراسة لارتباطها بالتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية ارتباطا معقدا، بحيث لا يمكن إغفال دور أي جانب من هذه الجوانب أو الاهتمام به دون غيره من الجوانب، وكل قصور في فهم هذا الترابط يؤدي إلى اضطراب في فهم التطور التاريخي للمجتمع وتحليل التغيرات التي تطرأ عليه.

إن البحث في الأعمال الروائية المختارة، وهي "السيف والزهرة" لعلي أبو الريش (١٩٨٤)، و"لعلها مزحة" لصالحة عبيد (٢٠١٨)، و"الحي الحي" لعلي الشعالي (٢٠٢٠)، و"رسائل عشاق" لفتحية النمر

(٢٠٢٣)، هو بحث يجيب عن أسئلة التحولات الاجتماعية وأنواعها وتجلياتها في الرواية الإماراتية، خاصة أن هذه الأعمال لم تحظَ بدراسة نقدية موضوعية، حسب اطلاعي على الدراسات السابقة، رغم أنها من أهم التجارب الروائية الإماراتية التي عكست الواقع الاجتماعي الإماراتي في مجالاته المختلفة، وقدمت صورة واضحة لتحولاته المتعددة، ولعل ذلك راجع إلى ابتعاد هذه الأعمال عن الأضواء وعدم توفر المكتبات على نسخ كافية منها.

١,٣ أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. الكشف عن توثيق الرواية الإماراتية للتحولات الاجتماعية بمجالاتها المختلفة.

٢. الكشف عن الارتباط بين التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية والواقع.

٣. الكشف عن توظيف الرواية الإماراتية التقنيات السردية الجديدة في سياق الواقع الاجتماعي المتغير.

١,٤ أسئلة الدراسة

إن أهم الأسئلة التي تطرحها الدراسة في محاولتها الكشف عن التحولات الاجتماعية في المتخيل السردي الروائي الإماراتي هي:

١. كيف وثقت الرواية الإماراتية التحولات الاجتماعية بمجالاتها المختلفة؟

٢. ما الارتباط بين التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية والواقع؟

٣. كيف وظفت الرواية الإماراتية التقنيات السردية الجديدة في سياق الواقع الاجتماعي المتغير؟

١,٥ فرضيات الدراسة

يمكن صياغة الفرضيات على النحو التالي:

١. لم تقدم الرواية الإماراتية توثيقا للتحولات الاجتماعية.

٢. لا يوجد ارتباط بين التحولات الاجتماعية في الرواية الإمارتية والواقع.

٣. لم توظف الرواية الإماراتية التقنيات السردية الجديدة في سياق الواقع الاجتماعي المتغير.

وتصاغ الفرضيات البديلة كما يلي:

١. قدمت الرواية الإماراتية توثيقا للتحولات الاجتماعية.

٢. يوجد ارتباط بين التحولات الاجتماعية في الرواية الإمارتية والواقع.

٣. وظفت الرواية الإماراتية التقنيات السردية الجديدة في سياق الواقع الاجتماعي المتغير.

١,٦ أهمية الدراسة

أهمية علمية: تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن توثيق الرواية الإماراتية لجوانب التغير المجتمعي المختلفة، ولتفاصيل الحياة اليومية للإنسان الإماراتي والقضايا التي تشغله وتؤثر فيه ضمن سياقه الاجتماعي سريع التحول، وفي ارتباطه بالفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها وبالأحداث التاريخية التي يجعلها الروائي إطارا لعالمه التخييلي. كما تكتسي الدراسة أهميتها العلمية من كشفها عن توثيق الرواية للذاكرة الجماعية للمجتمع الإماراتي وتقديمها صورة عن تاريخه وتراثه، وترسيخ الوعي بثقافته وهويته في ظل تغير القيم والسلوكات ونمط الحياة، ومن كشفها عن الدور التنويري للرواية الإماراتية الذي يتمثل في إثارتها القضايا الناتجة عن التحول الاجتماعي، وطرحها نقاشات ووجهات نظر مختلفة تثير في القارئ تساؤلات جديدة، وتفتح أمامه طرق

تفكير مختلفة من خلال ما قرأه في عوالم الرواية التي تسمح بالحرية المطلقة في ممارسة السرد بعيدا عن أشكال الوصاية المختلفة.

ونظرا لخصوصة الرواية الإماراتية ضمن محيطها الخليجي، وطبيعة نشأتها متزامنة مع التغير الاقتصادي الكبير الذي تمثل في اكتشاف مورد طبيعي جديد، ولخصوصية البيئة في الإمارات ونمط الحياة والقيم السائدة، كان طبيعيا أن تظهر الخصوصية أيضا في الفن السردي من حيث المضمون والتقنيات السردية الموظفة، خاصة في مرحلة الرواية الجديدة التي اختارت التجريب للتعبير عن الرؤية للعالم وعن التمثيلات المختلفة للتجارب الجديدة. ومن شأن هذه التقنيات السردية الجديدة أن تساهم في تطوير المناهج النقدية من خلال استدعائها ضرورة تطوير آليات علمية منهجية جديدة في النقد الأدبي.

أهمية اجتماعية: تتمثل الأهمية الاجتماعية للدراسة في بحثها عن التجليات المختلفة للتحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية سواء منها ما يخص الإرث التاريخي والمعرفي، أو العادات والتقاليد، أو أنماط الحياة والتفكير، وذلك بهدف فهم طبيعة المجتمع وما مر به من مراحل التحول، واستجلاء منظومة العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تشكل في مجملها التركيبة الاجتماعية للمجتمع الإماراتي. وتمثل الدراسة بذلك مصدرا للتعرف على التحولات المجتمعية في ضوء ما يقدمه علم الاجتماع من تحليل اجتماعي وما توفره النظريات الأدبية النقدية من أدوات نظرية ومفاهيمية لفهم النصوص وتفسيرها. كما قد يمثل البحث وسيلة لتغيير بعض الظواهر الاجتماعية التي طرحتها الرواية الإماراتية في محاولة لإيجاد الحلول المناسبة لها.

أهمية عملية: تتمثل الأهمية العملية لهذه الدراسة في رفد المكتبة الأدبية والأفراد والمؤسسات الأكاديمية بدراسة علمية تجعل من تحليل الرواية وسيلة لفهم قضايا الشباب والمرأة، ولحل المشكلات المجتمعية الناتجة عن تغير بنية المجتمع كالصراع بين الأجيال، وبين القديم والجديد، والتقليد والحداثة، وما يخص قضايا الهوية والانتماء. كما من شأن هذه هذه الدراسة أن تساعد المؤسسات التربوية والتعليمية في وضع السياسات

التربوية والثقافية لتحقيق مخرجات تربط التعليم ببيئة الطلاب وواقعهم المتغير باستمرار، وتنمية وعيهم بقضاياه وانشغالاته، وتعزيز التفكير النقدي لديهم حول القضايا المجتمعية خاصة ما يتعلق منها بالمساواة بين الجنسين ودور المرأة، والعدالة والهوية، وقيم التسامح والانفتاح على الآخر.

إن ما يمكن أن تنتهي إليه الدراسة من أفكار ومقترحات وتوصيات سيساهم في ظهور بحوث ودراسات أخرى تجعل من البحث في موضوع التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية وسيلة لفهم البنية الثقافية والاجتماعية في المجتمع الإماراتي وتفسيرها، والكشف عن توظيف الروائيين لهذه التحولات في الكتابة عن المجتمع وطرح الأسئلة المتعلقة بثوابته وقيمه وهويته الوطنية. كما تفتح الدراسة مجالا للبحث في مساهمة الرواية الإماراتية في تطوير المناهج النقدية من خلال تعامل النقاد العرب مع ما قدمته من أعمال مختلفة تتطلب مقاربات ثقافية وأدوات نقدية جديدة.

١,٧ حدود الدراسة

١,٧,١ الحدود الموضوعية

دراسة التحولات الاجتماعية في الرواية الإماراتية، والكشف عن ارتباطها بالواقع الإماراتي، وذلك من خلال تحليل أربعة نماذج روائية إماراتية، وهي: "السيف والزهرة" لعلي أبو الريش التي صدرت سنة (١٩٨٤)، و"لعلها مزحة" لصالحة عبيد (٢٠١٨)، و"الحي الحي" لعلي الشعالي (٢٠٢٠)، و"رسائل عشاق" لفتحية النمر (٢٠٢٣). وقد تم اختيار الروايات باعتماد معايير مختلفة يتمثل أولها في موقع الكتاب في الساحة الإبداعية الإماراتية والعربية، ومساهماتهم النوعية بإصدارات أثرت النقاشات النقدية وحازت جوائز هامة. يعد علي أبو الريش من أبرز الكتاب الروائيين في الإمارات، وله عشرون رواية اختيرت رواية "الاعتراف" منها ضمن قائمة أفضل رواية عربية في القرن العشرين من قبل اتحاد الكتاب العرب. ووصلت

صالحة عبيد إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب عام *2021*، كما فازت بجائزة "الإمارات للشباب" في فئة الكتابة الإبداعية سنة *2017* ورشحت روايتها "دائرة التوابل" للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام *2024*. ويشتهر علي الشعالي بنشاطاته الثقافية وحضوره الوازن في المشهد الثقافي الإماراتي والعربي، ووصلت روايته "الحي الحي" إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب، وحازت على جائزة سلطان بن علي العويس للإبداع الأدبي سنة *2019*. وتشتهر فتحية النمر بمشروعها الأدبي الذي يركز على المرأة ويهتم بالقضايا الإنسانية والاجتماعية، وقد حازت جائزة الشارقة لإبداعات المرأة الخليجية لعام *2018-2019* في مجال الرواية تقديرا لإسهاماتها الأدبية في الساحة الثقافية الخليجية. كما مثلت رواياتها موضوعات لجلسات ثقافية ومناقشات نقدية، وحظيت روايتها "رسائل عشاق" بجلسة مناقشة نظمها المكتب الثقافي بالمجلس الأعلى لشؤون الأسرة بالشارقة.

ويتمثل المعيار الثاني في اختيار عينة الدراسة في المعيار الزمني وتاريخ الإصدار، حيث تمثل الأعمال الروائية المختارة محطات زمنية مختلفة وإن تقاربت تواريخ الثلاثة الأخيرة منها باعتبار الإيقاع السريع للتحول الاجتماعي التي يعرفه المجتمع الإماراتي في عصر التطور التكنولوجي، وما ينتج عنه من تطورات في الرؤية الفنية الخاصة بالكاتب، وفي حساسيته الأدبية والتقنيات السردية التي يختارها للكتابة. وتم اختيار "السيف والزهرة" باعتبار انتمائها إلى فترة تأسيس الرواية الإماراتية وبداياتها الأولى التي تميزت بالنموذج التقليدي للرواية الكلاسيكية، بينما تمثل الروايات الثلاث الأخيرة فترة الرواية الجديدة وتجاوز الرؤية المباشرة للعالم بلغة وتقنيات حديثة تتماشى مع روح العصر. ورغم مراكمة المنجز الروائي الإماراتي خلال الفترة ما بين (١٩٨٤) تاريخ كتابة "السيف والزهرة" و(٢٠١٨) تاريخ صدور "لعلها مزحة" عددا من الأعمال، فإن الباحثة لم تختر من بين التاريخين نموذجا للدراسة، لأن هذه الفترة الزمنية –رغم طولها– عرفت بالتقليد في الكتابة

الروائية، وهو الاتجاه الذي تمثله رواية "السيف والزهرة" والروايات التي كتبت بعدها إلى حدود سنة (٢٠١٧).

أما المعيار الثالث، فهو اختلاف الأجيال بين كتاب الروايات، ما يؤثر طبيعيا في اختلاف التجارب الفردية والجماعية ضمن سياق مجالات التحول المجتمعي وإيقاعه السريع، وكذا تباين الخلفية الثقافية والرؤى الفكرية وتنوع البعد النقدي للكتاب، وبالتالي تمثيل النماذج الأربعة لوعي مختلف بالتاريخ وبالمتغيرات الاجتماعية. ينتمي علي أبو الريش، ضمن الأجيال الأدبية، لجيل السبعينات الذي كتب الرواية الواقعية بالأسلوب التقليدي وبمضمون بناء الهوية والصراع بين القديم والحديث. وتندرج أسماء صالحة عبيد وعلي الشعالي وفتحية النمر في إطار الجيل الجديد الذي كتب الرواية الجديدة التي تميزت بتعدد الأصوات والتداخل الزمني وكسر البنية التقليدية، واختيار موضوعات الاغتراب والعزلة والقلق الوجودي، ومضامين الهوية وقضايا المرأة.

كما تم اختيار النماذج الأربعة بناء على معيار النوع الاجتماعي، وذلك لتباين الأدوار التي يشكلها المجتمع للجنسين، ولاختلاف التجارب بينهما خاصة في مجتمع محافظ كالمجتمع الإماراتي. إن اختلاف وجهات النظر وزاوية الرؤية في رصد التحولات الاجتماعية بناء على نظرية الجندر يقدم تحليلا متوازنا للقضايا الاجتماعية المطروحة في الروايات وفهما أكثر عمقا لتأثير ذلك في تشكيل البناء السردي، وبالتالي إدراك علاقة التأثير والتأثر بين الرواية الإماراتية والواقع الذي نشأت ضمن شروطه.

١,٧,٢ الحدود الزمنية

تبدأ من سنة ١٩٨٤ مع رواية "السيف والزهرة" للكاتب علي أبو الريش، وتنتهي بسنة ٢٠٢٣ مع رواية "رسائل عشاق" للروائية فتحية النمر.

١,٧,٣ الحدود المكانية

ركزت الدراسة على دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تم التزام هذا الحد المكاني لتسليط الضوء على المشهد الروائي الإماراتي الذي يشكل مرآة عاكسة لما عرفته الإمارات من تحولات كبرى مست البنى الاجتماعية المختلفة.

١,٨ مصطلحات الدراسة

١,٨,١ التحولات الاجتماعية

يعرف (بدوي، ١٩٨٢) التحولات الاجتماعية على أنها: "كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها".

و"يدل مفهوم التحولات، من الناحية الاجتماعية، على التغيرات اللازمة لانتقال بنية اجتماعية إلى أخرى، ومن نظام قائم لهذه البنى إلى نظام آخر. وحتى يتحقق هذا التحول، لا بد من توفر مجموعة من الشروط لكي تتحقق التحولات الاجتماعية: أولها الجذرية بحيث ينبغي أن تكون لا رجعة فيها، وثانيها التحقق والتأكد من الانتقال من بنية إلى أخرى مغايرة، وثالثها إدراك أن طبيعة المجتمع الشامل هي المسؤولة عن صعوبة معاينة أو فهم التحولات الموجودة داخل المجتمع". (المرجان، ٢٠١٩)

إن التحول الاجتماعي يمثل "خاصية أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية في كل مجتمع على حدة؛ ويعزى ذلك إلى كونها هي سبيل بقائها ونموها، كما أن بها يتهيأ لها التوافق مع الواقع ويتحقق التوازن

والاستقرار الاجتماعي، وعن طريقها تواجه الجماعات متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتجددة". (عبد المجيد والحيطي، ٢٠١٥)

و"يشير عاطف غيث إلى أن التحولات الاجتماعية تكون بأشكال متعددة منها التغير الذي يحدث في القيم الاجتماعية، ويتبع هذا التغير تغيرا في الأدوار والتفاعل الاجتماعي، ومن أشكال التغير الاجتماعي كذلك تغير النظام الاجتماعي الذي يؤدي تغيرا في المراكز والأدوار الاجتماعية". (حسن، ١٩٦٤)

أما التعريف الإجرائي للتحولات الاجتماعية، فهو عملية التغيير في العلاقات المؤسسية والقواعد والقيم، والطريقة التي تتغير بها الأسرة والمجتمع بفعل النمو الاقتصادي والعلوم والتطور التكنولوجي، والتي تؤثر على تفاعل الناس ونمط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وعلى العادات والتقاليد، والقيم والأخلاق.

١,٨,٢ الرواية

ربط هيجل ظهور الرواية بتطور الوعي الإنساني، وذلك انطلاقا من أطروحته الفلسفية التاريخية التي يرى من خلالها أن تطور التاريخ الإنساني ما هو إلا تطور للوعي البشري، وأن الوجود الإنساني خاضع للتطور والصيرورة. وأكد (لوكاتش، ١٩٨٧) أن الرواية هي فن المجتمع البورجوازي المعبر عن تناقضاته وعن إيقاعات المجتمع الحديث، إنها "الشكل الأدبي الأكثر دلالة في المجتمع البرجوازي، وهناك ولاشك آثار أدبية يعود تاريخها إلى العصور القديمة وإلى العصر الوسيط، غير أن الخصائص التي تعنى بالرواية وحدها وترتبط بها لم تبدأ بالظهور إلا بعد أن صارت الرواية الشكل الذي يعبر عن المجتمع البورجوازي، وفضلا عن ذلك، ففي الرواية نرى أن التناقضات التي يتميز بها المجتمع البورجوازي توجد مصورة بطريقة أكثر ملاءمة وإفصاحا".

ويعرف إيان واط (١٩٩٧) الرواية، بعد حديثه عن الملحمة الكلاسيكية وملحمة عصر النهضة بقوله: "أما أول وأشد تحد تواجهه هذه التقليدية الأدبية، فقد أطلقته الرواية التي كان معيارها الأساسي هو الإخلاص للتجربة الفردية- التي هي فريدة دوما وجديدة بالتالي، وهكذا فإن الرواية هي الحامل الأدبي المنطقي لثقافة أضفت، في القرون القليلة الأخيرة، قيمة جديدة تماما على الأصالة وعلى الجدة، وبذلك كانت جديرة باسمها".

وانطلاقا من مفهوم تعدد الأصوات ومن كون المتكلم في الرواية منتجا لإيديولوجيا ما، عرف باختين (١٩٨٧) الرواية بقوله: "إن الرواية هي التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا، وتقضي المسلمات الضرورية بأن تنقسم اللغة القومية إلى لهجات اجتماعية وتلفظ متصنع عند جماعة ما، ورطانات مهنية، ولغات للأجناس التعبيرية، وطرائق كلام بحسب الأجيال، والأعمار، والمدارس والسلطات، والنوادي والموضات العابرة، وإلى لغات للأيام (بل للساعات) الاجتماعية والسياسية (كل يوم له شعاره، وقاموسه ونبراته). ويتحتم على كل لغة أن تنقسم داخليا وعند كل لحظة من وجودها التاريخي. نتيجة لهذا التعدد اللساني وما يتولد عنه من تعدد صوتي، فإن الرواية تتمكن من أن تلائم بين جميع تيماتها ومجموع عالمها الدال".

أما إبراهيم فتحي، فقد عرف الرواية بأنها "نوع أدبي يقوم على السرد النثري الخيالي الطويل عادة، وتجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية النسبية باختلاف نوع الرواية، وهذه العناصر هي: الحدث، والتحليل النفسي، وتصوير المجتمع، وتصوير العالم الخارجي والأفكار". (فتحي، ١٩٨٦)

ويعرفها سمير سعيد حجازي، بأنها: "جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيراً لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم". (حجازي، ٢٠٠٥)

والرواية أيضا "تصوير للعادات والأخلاق، يتصدى فيها المؤلف لرسم جانب من الحياة الإنسانية، ويترك شخصياته ضمن إطار اجتماعي معين، حسب متطلبات السياق، وتعنى الرواية بالإنسان والعالم، فتتوقف عند البيئة الطبيعية والخلقية والعادات والتقاليد والتربية والسياسة والاقتصاد والحي والخيال والعلم والتاريخ، فكل ما هو واقعي أو ممكن وقوعه أو وهمي يدخل في نطاق الرواية". (عبد النور، ١٩٨٤)

ويتمثل التعريف الإجرائي الذي يتبناه البحث في أن الرواية تجربة إنسانية وإبداع خيالي نثري يسرد أحداثا تمثل الواقع وتكشف عن رؤية للعالم.

١,٨,٣ الرواية الإماراتية

تحدث (الفيصل، ٢٠١٢) عن الرواية الإماراتية، وعن بداياتها الأولى متأخرة عن نظيرتها في العالم العربي، حيث "لم يكن لها وجود قبل قيام الاتحاد، وإن كنت لا أقرن الرواية (وهي عمل جمالي فني) بالسياسة (وهي عمل معرفي انطلاقا من أن السياسة علم تنظيم المجتمع). ذلك لأن التأثير متبادل بين العاملين الجمالي والمعرفي، فلا رواية دون مجتمع مديني مستقر، وليس هناك مجتمع مديني مستقر يخلو من تعبير جمالي".

وعن أول رواية إماراتية، يقول الدكتور (بوشعير، ١٩٩٧): "إن رواية "شاهندة" لراشد عبد الله تعد أول عمل روائي في الأدب الإماراتي الحديث، أي أنها رواية رائدة، ولذلك فإنها تكتسب أهمية مزدوجة بالقياس إلى الأعمال الروائية الأخرى، فبالإضافة إلى أهميتها الفنية والفكرية تتمتع بأهمية تاريخية على نحو ما تتمتع الروايات الرائدة المعروفة في الأدب العربي الحديث".

وقد ارتبطت نشأة الرواية الإماراتية بتأسيس الدولة بعد قيام الاتحاد "وابتعاث الطلاب إلى الخارج والتعالق مع مجتمعات جديدة، ما فتح آفاقا للكتابة والفن والإبداع، وزاد ذلك بازدياد عدد المبتعثين لزيادة عدد المتعلمين من أبناء الوطن.. إضافة إلى دور الأندية الرياضية الثقافية قبل تشكل الدولة التي رعت حركة

ثقافية وإبداعية ومعرفية كان روادها طلابا وجدوا فيها حواضن لكتابة المقالة والقصة والخاطرة والشعر، عبر مجلات الحائط والنشرات الثقافية التي كانت تصدرها تلك الأندية في دبي والشارقة ورأس الخيمة" (صبري، ٢٠٢٢)

"ومن الملاحظ على الرواية الإماراتية أنها شديدة الارتباط ببيئتها، فلقد استلهمت خصوصيات الواقع الاجتماعي، وعبرت عن مفردات المكان ومظاهر الحياة، فيما بين الماضي والحاضر، مجسدة قيمها ومفاهيمها وعاداتها ومعتقداتها والمهن والحرف التي كانت سائدة فيها في تلك المرحلة". (هويدي، ٢٠٠٥)

أما التعريف الإجرائي لمصطلح "الرواية الإماراتية"، فهو الروايات التي كتبها روائيون إماراتيون ابتداء من رواية "شاهندة" التي توافق صدورها مع تاريخ قيام اتحاد الإمارات، والتي ضمنوها تجاربهم الإنسانية ورؤاهم للحياة في أسلوب فني إبداعي.

إن تقديم الإطار العام للدراسة وتحديد مصطلحاتها وحدودها، بما يتناسب مع الأسئلة والأهداف، يسلم الباحث إلى ضرورة دراسة الإطار العام الذي يتم فيه طرح أهم القضايا التي نوقشت في موضوع التحولات الاجتماعية وموضوع الرواية وموضوع علاقة الرواية بالواقع. بحيث لا يتحقق الفهم والتحليل للمواضيع الثلاثة إلا في إطار التوسع في عناوينها الفرعية ومعرفة نظريات التحول الاجتماعي وعوامله كما قدمها علم الاجتماع، وذلك ليكون تصنيفها وتحليلها في ارتباطها ببعض تحليلا علميا تستند إليه دراسة أنواع التحولات في إطار الرواية الإماراتية. كما تحضر ضرورة دراسة علاقة الرواية بالواقع لتتمكن الباحثة من آليات وأدوات الربط العلمي بين جوانب الموضوع، وللوصول إلى نتيجة ارتباط تحولات المجتمع الإماراتي في عوالم الروايات محل الدراسة بالواقع الذي عرف طفرات تطورية نوعية وسريعة في مجالات مختلفة. وفي هذا السياق، سيؤطر الفصل الثاني بنظريات علمية من علم الاجتماع ونظريات الرواية التي تربط العمل

الفني باشتراطات المجتمع الذي أنتجه، وتعطي نظرة شاملة حول متغيري الدراسة وطريقة طرحهما في الدراسات السابقة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA